# الى البطل القائد عمر دشن !

بقلم محمد الصالح الصديق

لن انساك يوم غادرت (الخضراء) الى (الحمراء) ... عندما ودعتني .. وانت تبتسم للعودة الى ارض الكفاح حيث اللقاء العذب السحري بالاباة الامجاد ، وحيث ينشر التاريخ صفحاته المشرقة ، ويخضع للارادة والايمان .

لن انساك ، وقد وقفت امامي تودعني بكلمات تفيض ثقة بالمستقبل ، وايمانا في ابعد الحدود بسمو المبدأ ، ونبل الغاية . كلمات في عزم وتصميم وصلابة وشدة ، كانها قدت من حديد ، بل كانها السنة البنادق عندما تهدر وتهتف بالويل للمستعمرين فوق ارض الوطن .

لقد قلت لي : اننا حطمنا الماضي الاسود ، وانطلقنا ننشد فجر الحياة ، ونشق الطريق اليه بالدماء والدموع ، اننا سنواصل الزحف حتى الغاية بين الاعاصير ، وتحت الصواعق ، وفوق البراكين ، فمن مات منا فبينه وبين الجنة ساعة ، ومن حي فعز وسعادة .

خدعتني نفسي وانا اصافحك ، فحسبت انني ساجتمع بك بعد ، ولم اكن اعلم ان تلك الساعة هي اخر عهدي بك ، وان لم تكن اخر عهدي بآيات بطولتك ، وروائع تضحياتك.

لقد نزعت نفسي الى ارض الكفاح. وتخالجني شوق الى تلك الجبال الرهيبة المخضبة بالدماء وانت تحدثني ، وخيل الي مما اهتاجني من الحنين الى البلاد العزيزة كان المسافة بيننا وبين ارض الشهداء قد تلاشت ، وان كل شيء ذاب ولم اعد اسمع وارى الا زغردات الرصاص، وهزج البطولات ، وهدر العواصف ، وجبالا شامخة مكللة بالاباء ، وشبابا وكهولا يقودهم الموت الى النصر ، فيندفعون في عنف كالسيول الجارفة.

لقد ودعتني على امل اللقاء في ارض الوطن ارض الجزائر العربية ، وخرجت وقد نزا بك الطرب ، وطفى عليك نازح الحنين ، وتمنيت او تطوى لك الارض في لحظات ، حتى تعود الى تلك الحياة الكريمة التي الفتها بين امواج الموت ، حياة المجد والكرامة والعز ، حياة الارادة والكفاح والخلق .

انسلخت ايام واسابيع وانا اتنسم انباءك بلهفة ظامئة . وكلما تساقط الي نبأ معركة واشتباك في الطريق بين تونس والجزائر توزع فكري قلق واوجست خيفة ان تكون سقطت بين الموت ، لا اشفاقا عليك، بل اشفاقا على تلك الامال الفساح التي ازهرت ولم تثمر بعد، وعطفا على تلك الشعلة المتوهجة بين حنايا الضلوع ان تنطفيء قبل ان تنال مبتغاك .

وبعد تلهف طويل دام نيفا وثلاثة اشهر ، بلغتني رسالتك الشيقة التي كتبتها بسرعة خاطفة على رابية عالية بجبال القبائل متوجة باشجار الزيتون يرفرف عليها علم الوطن العزيز .

وفي هذه الرسالة صورت لي آفاق طموحك ، ومدى هيامك بالعروبة والاسلام ، واستهانتك بالمخاوف والاخطار في سبيل وطنك.

لقد قلت لي ما معناه :

اكتب اليك وانا بين جمع من الاسود الرابضة تحت هذا العلم الخفاق ، هذا العلم الذي ينطق بصمته وترفعه انه قديم كعروبتنا ، اصيل كتاريخ نضالنا ، وان كل خفقة من خفقاته رمز لانتفاضة هذا الشعب ، وايذان بان الاستعمار يلفظ انفاسه الاخيرة في هذه البلاد العربية .. ان هذه الارض التي ينطق فيها كل شيء بانها عربية ستتحرر من اللئام الاوغاد طوعا اوكرها ، ودماؤنا العزيزة هي الثمن الوحيد لحريتها ، وذكرتني بكلمة المصلح الخالد الامام ابن باديس (ان هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ، ولا تريد ان تصير فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو ارادت بل هي امة بعيدة عن فرنسا كل البعد ، في لغتها وفي اخلاقها وعنصرها ، ودينها ، لا تريد ان تندمج ، ولها وطن معين هو الوطن الجزائري )

وقلت لي : غدا سيزول الظالم الجائر ، عن ارضنا الجزائر ، وترفرف راية السلام والمحبة والانسانية من اقصى بلاد العرب الى ادناها ... ان فجر الاستقلال سينبلج مضمخا بدمائنا ... واننا اقوياء ما دام الحق بجانبنا ، وخدمة الوطن هدفنا .»

لقد تاثرت برسالتك عميق التاثر ، ومرت تحت خيالي في لمحة خاطفة تلك الارض الملتهبة ، وتمثلت اولئك الابطال على الجبال والهضاب، وعلى السواحل والانهار ، تزأر في نفوسهم عواصف هوجاء من الحقد والبغض على السفاحين الآثمين ، وتخيلتك هناك في تلك الربوة العالية واقفا تحت جدائل الزيتون المتدلية ، وفي نفسك هدير من انفعال ضخم، وحماس محتدم ، وشجاعة خارقة ، وانت بين اولئك الاسود تتحينون الفرصة لتحدي مطامع الاشرار ، مطامع فور وماسو ، وتقسمون في عزم وتصميم ان لن يحول بينكم وبين الحرية المحبوبة اولئك الاقزام ، واولئك العلوج المجرمون .

لقد كنت على اتصال بك وباخوانك الابطال في الصحف والاذاعات ، وانتم تتنقلون في شعاب الجبال وفي جنباتها ومنحنياتها ، تثيرها رهيبة شعواء على اولئك البراغيث الهائجة الذين قذفت بهم اوروبا الى تلك الارض العربية فيتساقطون تحت ضربات الاحرار القاصمة كحفنات الذباب غير مأسوف عليهم .

وقد تخيلتك في المعركة المثلثة الرهيبة التي حشدت فيها فرنسا اعظم ما تملك من قوة وكنت فيها الضالة المنشودة لاربعة عشر لصوصا كلهم يتسابقون وراءك كما يتسابق الصيادون وراء الاسد : امل عظيم في هلع شديد .

تخيلتك تتنقل بين امواج الموت ، وفي صدرك هدرة بركان ، وغمغمة انفجار مستهينا بالموت في سبيل الحياة مسترخصا كل عزيز في سبيل الكرامة والعز .

لقد شاهد ماسو طائرات فرنسا واميركا تتساقط في تلك المعركة كانها عصافير اصابها صياد ماهر ... ورأى كيف عبثت تلك الارض الشاسعة بجثث ممزقة واشلاء مبعثرة ، وخضبت بالدماء.. دماء ابناء باريس المغرورين حتى كانها طليت بدهن احمر .

لقد تبين لماسو اثر تلك المعركة ـ وان جهد ـ ان تلك الطائرات والدبابات ، والاسلحة الفتاكة المبيدة ومئات الالاف من الجنود ، كل ذلك لا يجدى نفعا امام هذه الطاقات الجبارة الهائلة المتولدة التي تتحدى مطامع الحلف الاطلنطي منذ خمس سنوات .

لقد استطعت بصمودك في تلك المعركة ، وتدبيراتك الحربية الفائقة ان تنتزع اعجاب القادة الفرنسيين حتى لقبوك بصاحب النظام الحديدي، واصبحت منذ ذلك الحين شبحا مهيبا مرعبا يطاردهم اينما كانوا في الطريق ، في المنزل ، في المعسكر .

كم زحف (الجراد) على قمم جبال جرجرة الشامخة ، عابثا وعائثا ، فاجهزت عليه بانطلاقيات العملاقية ، وانتفاضاتك الجبارة ، فانسحق وانمحق ، واصبح مثلا للاخرين .

لقد اختلجت روحي اختلاجة العصفور عندما طرق سمعي نبأ استشهادك ، وتسمرت جوار المذياع مساء يوم ٢٩ مارس ، اترقب وانتظر، واتساءل : امات عميروش ؟ اصحيح انطفأت تلك الشعلة المتقدة ؟! اسقط ذلك الاسد الهصور ؟ اهدأت تلك العاصفة الهوجاء التي طالما قوضت من آمال وحطمت من احلام واثارت من احزان ؟

لقد ذهبت نفسي في تكذيب الخبر مذاهب شتى ، ولكن لم البث ان تبينت الحقيقة ، وثبت انك على موعد مع الموت ... في جبال بوسعادة لتفتح هناك صفحة اخرى جديدة في التاريخ .

هناك في جبال بوسعادة كنت تمور كالاعصار جائلا وصائلا بجانب اسد الصحراء و(حارس ابوابها) سي الحواس هناك لقنت (دوكاس) اقسى درس واروعه في الصمود والثبات امام جحافله الجرارة طيلة ثلاثة ايام، وبرهنت مرة اخرى على ان العبرة بالروح المعنوية قبل كل شيء.. واثبت (لدوكاس) ان كثير الحطب يكفيه قليل من النار ..

لقد وقفت طيلة المدة بجانب اسد الصحراء ، تصارع الموت بشجاعة خارقة ، ادهشت العدو وانتزعت اعجابه ، فلم ترهبك النجدات الهائلة التي ظلت تتلاحق الى الميدان بين حين واخر طيلة ثلاثة ايام ، ولم تنل من عزمك وارادتك نار الارض ولا نار السماء .

لقد ظل عرينك الرهيب يرمي باللظى ويقذف بالموت حتى نفذ ما عندك من ذخيرة وانتهت رسالتك ورسالة اخيك اسد الصحراء في هذه الحياة، وعندئذ فقط صعدت روحاكما الى الملأ الاعلى متعانقتين تحدوهما ملائكة الله في عز ورفعة ، وساد العرين صمت رهيب ثقيل ، وتربص العدو ساعة ثم تقدم ليرى ... ليراك يا صاحب النظام الحديدي منكبا على رشاشتك ، وعيناك مفتوحتان ، وبسمات الرضى والاطمئنان تتراقص على شفتيك .

لقد رجع القهقرى وهو يرتعد فرقا ، ويتساءل في صوت لا يكاد يبين: اهذا هو عميروش ؟ اميت هو ؟ لالا... سألوا وعرضوا وما كادوا يصدقون .

لقد قالوا بعد موتك : ان الثورة على وشك النهاية كما سبق ان قالوا يوم مات زملاؤك، فاجابت الثورة من اعالي الجبال ومن كل شبر من التراب الثائر : انا هنا في كل مكان عاصفة لن تهدأ ، واعصار لن يسكن ونار لن تخمد ، حتى يلفظ الاستعمار انفاسه الاخيرة في هذه البلاد .

لقد غبت عنا ولكن بعد ان تركت وراءك ابطالا يعرف الفرنسيون بطشتهم الكبرى عندما تنفجر براكينهم ، وسيثارون لك من بعدك.

لقد تواريت ايها البطل المغوار ، ولكن ستبقى ذكراك ... ستبقى في انتفاضات الثائرين ، في طلقات المدافع والرشاشات .. في انشودة الراعي .. في الدماء الملتهبة ... في الغابة العذراء ... في تاريخ الغد ..

يا ارواح الشهداء .. بولعيد ، وزيفوت ، وديدوش ، لقد جاءكم روحا اخويكم عميروش وسي حواس ، فيا انسكم وفرحتكم بهما !..

اما نحن فعلى عهدنا القديم حتى ننتصر او نلتحق بكم اوفياء مكرمين، فاستريحوا الى جوار كريم واطمئنوا فاننا لن نحيدا

الجزائر — **محمد الصالح الصديق**


# دار المعارف بلبنان

كتاب سير موجزة يدلك بالقطارة على البحر.. ينقل إلينا طرائف وروائع من تجارب أفذاذ عظماء بعدوا عنا وقربوا منا في مسافات الزمن...

مع العالمين

تمرسوا بالحياة ولم ينقطعوا عنها إلا وقد أبقوا فيها ميراثاً !

تأليف
سمير شيخاني

السعر ٥٠٠ قل
أو ما يعادلها